الفضاء الأرحب

أ.د. عقيل مهدي يوسف

وانا اقلب في كتاب "المسرح" تأليف الفنان والكاتب البلغاري المجدد (بويان دانوفسكي) الذي اصدره عام (١٩٤٥) ! وجدت ان الافكار المثمرة تبقى كذلك حتى ان ابتعدت بها السنون والامكنة ، فهو . مثلاً . في حديثه عن علاقة السينما بالمسرح، اهتدى إلى نقاط جوهرية يتلامس عندها الفنان، أو يتقاطعان، أو ينفي احدهما الآخر، أو يتماهيان مع بعضهما البعض.

يذكر، دانوفكسي، ان الفلم، منذ سنوات خلت، تغلغل في حياة الناس، (وهذا الامر يتأكد بصيغة واضحة في زماننا نحن في الالفية الثالثة)، نعود إلى دانوفسكي ، الذي يرى ان السينما باتت ضرورة للانسان، وهي بمثابة قيادة تنويرية لملايين من الافئدة التي تهفو إلى مشاهدة هذه الافلام المتوزعة على اصقاع متباعدة من الكرة الارضية حتى ان بعض نجوم السينما باتوا اليوم اقرب الينا من أي ممثل مسرحي في مدينتنا نفسها! نحبهم، حتى حين يتحدثون الينا بلغة اجنبية أو يعيشون بعيداً عنا بآلاف الكيلومترات. نراهم وهم يشخصون امامنا في نوع من الظلال، والصور الفوتوغرافية المتحركة، ونتابعهم أكثر من الممثلين المحليين الذين يعيشون بين ظهرانينا، ويتحدثون بلغتنا، ويلعبون ادواراً على الخشبة من لحم ودم !! وبمقاسات طبيعية ، ثلاثية الابعاد، ونجد كذلك ان صالات السينما انتشرت في مدننا أكثر من عدد صالات المسارح فيها.

ثم يذكر دانوفسكي مقولة للفيلسوف الصيني القديم (لاو . تزه) الذي اراد: (التعرف على العالم من غير ان ينظر من خلال النافذة) وكأنه يرى ان السينما تتحرك في الحياة نفسها، بلا شرطية المسرح، وان كان هذا الظن بحاجة إلى مراجعة في يومنا هذا، بعد ان ظهرت اتجاهات نقدية وابداعية حديثة ترى خلاف ذلك فيما يخص فن السينما ، لكن دانوفسكي كان يرى وفي ذلك الزمان ان السينما، موضوعيا ، تتيح لنا الفرصة، لان نرى العالم بطرائق متنوعة أو نقوم باضاءتها، أو نروم تصويرها بظروف مختلفة، في سكونها وحركتها، في سرعتها أو بطئها. ثم يميز دانوفسكي بين الطرق التنظيمية للفنون ، فالرواية . مثلاً، تقدم عالماً من الشخصيات والمفهومات وهما يتحولان إلى (لغة) روائية، والموسيقي ، ينظم نتاجه من خلال (التون، الرذم، الميلودي، الهارموني) والرسم يؤثث فضاءه من الاشكال وخلفياتها والنحت باشكال حجومه المختلفة، والمسرح ، بالحوار، والحدث، والممثل الحي، ليخلص إلى ان "السينما" تضم كل تلك الاشياء وتعممها ، لكنها تضيف امراً جوهريا،هو ان حركتها بلا حدود، وانها صناعة آلية (ميكانيكية)، ويعتبر المخرج السينمائي منظماً اكبر للمادة الفلمية.

ويفصل دانوفسكي ذلك، حين يجد لديه موهبة صنع التكوين الروائي في بناء الحبكة المعينة، والحياة الخاصة، وانه يطرح افكاراً محددة، ويعيد رسم الابطال، ويقرب احدهم من الاخر، ويحصر الجميع بفضاء يضمهم جميعاً، ونتلمس كذلك لديه موهبة الموسيقي وقدرته على بناء (التونات والرذمات) لمقطوعته الفيلمية، ويأخذ من الرسام قدرته على رسم الضوء والظل، ومن النحات مزجه ما بين فنية بناء الجسم البشري مع الحركة، وقدرة المسرحي على قيادته للعب الشخصيات من قبل مؤدين احياء، كل هذه العوامل ينظمها المخرج السينمائي بمثل تنظيمه للحياة في فيلمه.

ويأتي (دانوفسكي) بمثال عن امرأة تودع زوجها للحرب، فيرى : (يكفي ان يظهر وجهها، وتومض اضاءات نوافذ القطار على وجه زوجها وهو يمرق بسرعة خاطفة) لنعرف المأساة.

فالمتفرج سيتعرف على طبيعة معاناتها في الانتظار، ونفاد صبرها واملها وخوفها من امكانية ان تفقده إلى الابد، وكل ما يتعلق بدراما امراة عاشقة تنتظر عودة زوجها . هذه الاشياء، تسرد في المسرح بطريقة مغايرة يمكن من خلال الحديث ان يجري اخبارنا بهذه المعاناة لان المسرح حواري بطبيعته. ان البعد الكلامي وسيط ثمين ومهم في السينما، لكنه ينتقص من الفن البصري الذي يميزها، فلو ازلنا أو حذفنا الحركة المرئية الخارجية عن اللقطة السينمائية، لاخفقت في الايصال، لانها تتحرك بفضاء واسع، وهذا الفضاء هو الذي يحركها أيضاً.

لقاء مع شيخ قصاصي الموصل

القاص أنور عبد العزيز: ما زال النقد لدينا متخلفاً وشاحباً

حوار : موفق العسّاف

القاص انور عبد العزيز : يحمل على كتفيه الاعوام السبعين هي سني عمره ، واذا كان عمره قد احرقته الاعوام واكلته الليالي فان ذاكرته لم تحترق ولم تتآكل بل اختزنت داخلها تفاصيل حياة تقاطعت مع احداث تاريخية فاصلة وهو ينظر بحنين الى ماضيه المزدحم بالاماكن والوجوه والحكايات ثم الموروث الشعبي بقديمه وجديده .

ومن خلال فهمه لفن القصة القصيرة التي هي من احدث الفنون الادبية الابداعية كما يقول وانها بتقنياتها الحديثة واسسها الجمالية وخصائصها المميزة وسماتها الفنية سلسلة من المشاهد الموصوفة تنشأ خلالها حالات مسببة تتطلب شخصيات حاسمة ذات صفة مسيطرة تحاول ان تفرض نفسها.

والقاص انور عبد العزيز: خلق (شخوصه) وانتقاها من واقع . رث . واستعرض مجتمع الخوف والظلم والماساة واستدعى / شخوصاً/ غير سوية لكن ليس ادانة للمجتمع او تخلفه بل ايغال في النفس البشرية . طرح معاناة / المثقف/ المقموع في الذاكرة الجمعية واغلب الاحيان يعمد الى جدلية توغله في العالم الذي يعيشه وفي المجاهل النفسية لتخرج وتؤثر في النظام . السياسي . الذي يمكن ان يدينه لانه صنع هذا الخلل النفسي والاجتماعي في مجتمع له حضارة وتاريخ واصالة . لقد ألم (وهو من هذا المجتمع) بالبلاء الذي نكبت به الدولة العراقية بجمهورياتها الدكتاتورية وما آلت اليه.

والقاص أنور: مناخ متميز في ساحة القصة القصيرة العراقية وبعيداً عن تفاصيل الريادة وتتبع البدايات يبرز من خلال متابعة سمات النتاج الادبي وبالذات في المجال القصصي الذي يدخل بنا عبر هدير كامن يهز أركانه.

بدأ انور عبد العزيز الكتابة عام ١٩٥٥ ونشر اولى قصصه بعنوان (شروق) في جريدة (فتى العراق) الموصلة عام ١٩٥٨ . واصدر مجموعته البكر . الوجه الضائع ١٩٧٦ ثم طائر الجنون ١٩٩٣ . النهر والذاكرة ١٩٩٧ . طائر الماء ٢٠٠١ . جدار الغزلان ٢٠٠٣ . ضوء العشب ٢٠٠٥ . كما ساهم في سبع مجاميع قصصية مشتركة منذ (قصص ٦٩) وانتهاء بـ (قصص من نينوى) ٢٠٠١ اضافة الى كتابات كثيرة في مجال النقد والتشكيل والتراث الشعبي واللغة.

انور عبد العزيز / مواليد الموصل ١٩٣٥ بكالوريوس لغة عربية جامعة بغداد ١٩٦١ . وقبل ان ندخل معه في الحوار نشير الى انه يعاني من مرض غامض مستعص ابتلي به منذ اكثر من عشرين عاماً فهو يشكو من ظاهرة (طنين) في اذنه اليسرى مما جعلته يعيش في (شبه) عزلة ويصف هذا المرض على انه صفير مدو صاخب مدمر طيلة ساعات يقظته يجعله مؤرقاً على نحو دائم ما جعلنا نحن تلاميذه وطلبته وزملاءه نعاني من شكواه لانه حرمنا لذة المناقشة وتبادل الرأي فقد حدد المرض علاقاته الاجتماعية وطيلة هذه الاعوام ظل متذرعاً بالصبر وبالكتابة . وقد انعكست حالته تلك على ادبه الغزير وفنه القصصي.

في ١٩/ ٥/ ٢٠٠٥ وعلى قاعة الازدي بكلية التربية بجامعة الموصل تمت مناقشة اطروحة الماجستير للباحثة (نفلة حسن احمد العربي) الموسومة بـ(السرد في قصص "انور عبد العزيز" القصيرة) وشكلت اللجنة برئاسة الاستاذ الدكتور ابراهيم جنداري وعضوية كل من الدكتور المساعد / محمد رشيد صالح والدكتور محمد جواد حبيب وباشراف الدكتور هشام محمد عبد الله وقد حازت الباحثة على تقدير بدرجة جيد جداً . وعلى خلفية موضوع الاطروحة التقينا القاص وكان هذا الحوار:-

•اتجاهك الادبي والفكري واقعي . او هذا ما تعارف عليه النقاد . هل وجدت له تعميقا لدى كتّاب القصة القصيرة سواء من الذين يجايلونك ام الذين جاؤا بعدك؟

. تعميق أي اتجاه ادبي او فكري هو محصلة تأثيرات متنوعة عبر التحصيل المعرفي والثقافي واختزان التجارب الحياتية والانسانية للكاتب وبيئته، وليس شرطاً ان يكون هذا التاثير محصورا او محدداً بقراءات في القصة القصيرة للمجايلين او لمن جاؤا بعدي برغم ان مثل هذه القراءات تترك اثرها الفني في السرديات الواقعية . لكنها وحدها لا تكفي ، فعوالم القصة القصيرة وسردياتها لا تخضع للتقنين والحصر وهي بمدياتها وافاقها تستعصي على أي تاثير ضمن افق محدود. اما عن تعميق الاتجاه فيأتي كنتيجة لمعاناة ومعايشة القاص لالوان من القراءات والوان من مخاض تجارب الحياة القاهرة والضاغطة على الاديب عبر مكوناته الحياتية الخاصة والبيئة التي يتعايش معها رفضا او قبولاً.

❖ في لقاءاتك مع . الادباء . ومواكبتك لتجارب الريادة الى فنون التجريب والحداثة . هل كنت تكتب بوعي نقدي متوافق مع وعيها ثم هل كنت تناقش معهم ما تفكر به؟

. مواكبة الريادة والروّاد والعقود والاجيال ومحاولات التجريب ودهشة الحداثة لا بد من ان تجد لها صدى عند القاص ومن خلال محاوراته النقدية مع مجايليه ومن جاء بعدهم، فأدب الحياة هو ادب التفاعل وسيذوي ويضمحل ويبهت ان هو آثر العزلة بعيدا عن الاخرين وعن كل دعوة او صيغة للتجاوز والتجديد.

❖ بين الزمان والمكان يلاحظ في اغلب قصصك تعويم المكان والارتقاء بالشخصية الى الغموض ثم هل تلجأ الى الرمز لاسباب فنية؟

. استطيع القول . وقد اكد هذا الكثير من النقاد ممن تناولوا مجمل نتاجاتي . انني معني بـ (الشخصية القصصية) وفي ادق تفصيلات حياتها الداخلية اضافة لما يبدو من سلوكياتها الظاهرية . اما عن المكان فلا ادري كيف يمكن رسم عمق الشخصية . وحتى الاحداث . بمعزل عن المكان . فالمكان هو الروح المطلق للشخصية وهو يؤشر في تحديد ملامحها ويرسم في حالات كثيرة او يخلق مسارات تحركها وقلقها وتوترها وحزنها او يكشف عن انبساطيتها وفرحها بالوجود ومن اهم ما في هذا الوجود هو / المكان / وبكافة تاثيراته البيئية والنفسية . ان شخصية مرسومة بمعزل عن مكانها تبدو كاريكاتيرية وغير طبيعية قلقة وغير متوازنة او موزونة ، ضائعة تائهة لا تعبر عن جوهرها الحقيقي وتظهر في نهاية المطاف كارتونية هشة. المكان وروح المكان الساكن الهادئ او القلق الحائر او المتفجر او غيرالحميم المعادي و الرافض لوجود الشخصية هو الذي يقرر ملامح هذه الشخصية في مكوناتها الجسدية والروحية والنفسية والمزاجية كافة. لا اعتقد ان غموضا صعبا يقف حائلا بين قصصي والقارئ، بل هو ذلك الغموض الذي تتطلبه بعض الحالات والاحداث والشخصيات وكما هو موجود في الحياة. اما عن الرمز فان بعض النصوص او النتاجات لن تكون (قصة) اذا ما حاولنا تجريدها وتحررها من الرموز . فالرمز يكون لها حياة . وهو ما يرسمها قصة ولانه و بشروط فنية القصة الواجبة المعروفة . يبدو فيها ضرورة ملحة لئلا تنكشف بشكل غير مقبول او كلي . بعض مخبوءات ومخفيات واسرار الشخصيات او الاحداث وهذا ما يفقدها (عنصر التشويق) وعندما لا يستطيع القاص اثارة خيال ومخيلة القارئ يحرمه من لذة الخلق المشترك بين الكاتب وقارئه. اذن ليس هناك أي (تعويم) للمكان بل هو المؤثر الكبير ومعه . الزمن . بكل سطوته.

❖ هل انتم مع التسميات فيما يتعلق باجيال الخمسينيات والستينيات وما تلاها، وهل برأيكم ان جيلكم بدأ البداية الطبيعية وفقاً للظروف الفكرية والسياسية؟

. تقسيمات الاجيال ... خمسينيات وستينيات وسبعينيات ... .الخ غير واردة في التقييم النقدي وضرورتها تنحصر فقط عند الدراسات النقدية الحرة او الاكاديمية هي للتعريف فقد ورسم بعض الحدود ولعدم ضياع الاثر او اختلاط السنين . المبدع / هو/ هو ومن أي جيل كان ولن يصعب على الرواد او ممن هم من الخمسينيات او الستينيات مواكبة التطور والحداثة والتحديث.

❖ على امتداد تجربتك القصصية لم تلج عالم الرواية على الرغم من ان اغلب قصصك تتوافر فيها امكانيات خلق رواية؟

. اشار كثير من النقاد والكتّاب عليّ بكتابة رواية ولانهم رأوا ان الكثير من قصصي خاصة الطويلة منها تكتنز بعوالم واجواء روائية لكن الرواية ليست لهواً او مزاجاً او حباً في الشهرة لكي يكتسب بها القاص لقب . روائي . وإن عشرات من الروايات البائسة التي صدرت لم تكن غير / قصص قصيرة / طالت واستطالت وتشعبت ولكنها ظلت قصصا قصيرة في شخصياتها وعوالمها واحداثها وظلت مخنوقة وحبيسة في فن القصة القصيرة دون أي تجاوز. عالم الرواية شيء اخر ، فهو معمار صعب وافق غير محدود : امكنه وازمنة وشخصيات تحتاج الى من يهندسها حياتياً.

لست عاجزاً عن كتابة الرواية برغم ان كتابتها تحتاج لتفرغ وتركيز ولصحة جيدة بلا امراض ولعزلة تخصص لها ولانشغال تام بمدياتها وآفاقها وشبكة احداثها وانسجام وتناغم ازمنتها وامكنتها ومعالجة مدهشاتها وتوقعات مسيرتها والتحكم في بنائها المعماري المتكامل والتقاط شواردها ومتاهاتها، وهذا مالا يتوفر لظروفي الصحية منها بوجه خاص برغم انني اعرف ان اية بداية لكتابة رواية . مع روح المغامرة . لن تنتهي او تقف عند الف صفحة واكثر، فانا مطمئن الى ان مخزوني من الذاكرة والحياة سوف يمنحانها الثراء ومع ما يجيء معه من ابداع التعبير.

•مع صنع الرواية : هل يستهويك الايجاز وقوته لاختصار الشخوص هرباً من الاستطراد والاطالة؟

. الأختصار او التطويل والاطالة والاستطراد في صنع الرواية لا تفرضها وتحددها الرغبة الشخصية بل تقرر ظرفها وطبيعتها حالة الشخوص والاحداث والهدف النقدي الاجتماعي والانساني .

❖ اهتمامكم بالواقعية واختياركم شخصيات (ناشزة) هل اغنى التجربة القصصية وفق مفهوم القصة القصيرة وآفاقها؟

. الشخصيات (الناشزة) كما تسميها واسميها (المدمرة) او (المقهورة) او المفجوعة ويسمونها ايضا المسحوقة من فقراء وعاطلين وشحاذين ومجانين ومعتوهين ومعوقين ومدمنين كانت الساحة الطبيعية لقصصي وكانت السرديات الواقعية هي الاكثر قدرة وغنى واتساعاً للتعبير عن حالة وعيش وسلوكيات امثال هؤلاء.هذا ما احسسته ووعيته بعد كتابة اكثر من مئة قصة على مدى اربعين عاماً وما اثرى هذه القصص وكما ذكر النقاد اقترابها الحميم من الواقعية السحرية ومن اجواء الفانتازيا والرمز ومعانقة المرويات للمخيلة الانسانية انسجاماً وحتى مغايرة للواقع المكشوف والذي اهم منه واقعية الشخوص والاحداث المستورة والمخفية.

❖ هل في اعتقادكم ان النقد قد وصل الى ما يحقق رغبتكم للوصول اليه في اغلب قصصكم برغم تمتعكم بذائقة نقدية على صعيد الادب بشكل عام؟

. النقد عندنا بوجه عام برغم اهميته وضرورته ظل متخلفاً عن الاعمال الابداعية فهو نقد شاحب هزيل ومجامل يعتمد المعارف والنخبة ولا اريد ان اسمي حتى من بعض مشاهير النقاد فانهم ظلوا منغلقين محابين مداحين لادباء السلطة او للادب الرسمي، ومن حاول منهم ان يوسع دائرة كتابته فقد وسعها فقط للذين يهدون اليه كتبهم، وهو يظل في هذه الدائرة المقفلة ولمن يتوجهون اليه بطلب النقد تصريحاً واضحاً او تلميحاً ولا استثني من كل نقاد العراق غير الدكتور (عبد الاله احمد) فهو الوحيد الذي يبحث ويستقصي عن النتاج القصصي في العراق ومن المكتبات العامة والخاصة ، وهو في كل ما اصدره من دراسات نقدية حول القصة يشعرك بقيمة مسؤولية الناقد الرصين وحرصه وجديته في التعامل مع موضوعاته النقدية وهو لا يحابي ولا يجامل، جريء وصريح في اصدار ارائه النقدية ، لا يغفل اسماً في كتبه ومقالاته التوثيقية ويحترم تخصصه في مجال النقد القصصي والروائي، والمحزن في الامر ان نقاداً لهم ماضيهم النقدي العلمي وممن عرفوا بالموضوعية والنزاهة في تعاملهم مع اسماء الكتاب والنصوص المنقودة قد انزلقوا ليحصروا جل اهتماماتهم وجهودهم النقدية في ادباء السلطة . مدحاً رخيصاً . وفي ادباء النخبة الممجدة عبر عقود متواصلة من السنين وبمخطط اعلامي بائس مكشوف ومفضوح وكان هذا البلد المنكوب بامثال هؤلاء النقاد قد خلا من الادب الحقيقي. انها خطة تبدو بريئة في ظاهرها لكنها تحمل في الخفاء ذلك الاتجاه المتعمد في تجاهل كثير من الاسماء ومحاولة خلق التعتيم على نتاجاتهم الابداعية ولتظل دائرة النقد تدور في فلك السلطة وعنتريات ادبائها وفي فلك النخبة المؤلهة والممجدة التي لم تشبع برغم توالي السنين من عبارات المديح الزائفة التي منحت مثل اولئك النقاد شهادة التخصص في هذا المجال النقدي والاعلامي الموبوء وقد نسوا ان كل جهودهم الخائبة ستظل عاجزة عن اخفاء وحجب الضوء البهي لادباء الناس ولنبض الادب الحقيقي الذي لا يعرف صنعة المراوغة والخداع ويجهل وبكل براءة اساليب الادب المتكلف والمصنوع والذي سيظل هزيلاً . وشاحباً ممقوتاً برغم كل فنون الاضاءة الاعلامية الخادعة.

(كي أُبعد الخطر)

محمد ثامر يوسف

كي أُبعد الخطر
يا حياتي اريد ان اقول
لك شيئاً،
هذه الحياة ستمتزج بالرغبات الكثيرة،
جاء امس بدو كثيرون
إلى هذه الحياة
كانت الساعة ميتة
ولان حركتها الصعبة تنبع
من التكرار ولا تعكس شيئا
نظراتنا المرسلة
ترتد نظرة اثر نظرة
جلست وفكرت قرب دماء الجثة
جثة الساعة
ورأيت ما يلي،
بينما يلوح الطريق
يغلف الاخرون جدرانه سريعا
بقرون من الكراهية
وبقرون اخرى سائلة من الرغبات
يتلهفون لهذه الحياة،
لذلك يا حياتي اريد ان اقول
ان هذه الحياة بلا دليل
لا احد يشتاق لنا
ونحن لا نشتاق لاحد
وحدنا نتحرك في الفراغ العظيم
عل ينبت هواء خفيف
في غفلةٍ من هذه الحياة....

إصدارات عراقية

انشاد شعر الحداثة

عن سلسلة الموسوعة الصغيرة الصادرة عن دار الشؤون الثقافية صدر كتاب (انشاء شعر الحداثة) لمؤلفه عبد العزيز ابراهيم. يشير المؤلف في كتابه هذا إلى ان الحداثة رؤية مستقبلية لا يمكن تجاوزها بدون الوقوف عندها لفتح حوار بين من يقول في صحتها ومن يتحفظ على طروحاتها التي تجاوزت حدود ادبها وتحولت إلى قاسم يجمع آداب الاخرين تحت مظلتها.

الامم المتحدة وكيف تعمل

تأليف: حازم جلميران

الامم المتحدة وكيف تعمل . كيف نشأت الامم المتحدة . كيف تعمل اجهزتها . مجلس الامن الدولي . المجلس الاقتصادي الاجتماعي . مجلس الوصاية . محكمة العدل الدولية . السكرتارية العامة . الوكالات المتخصصة . المؤسسة العالمية الدولية . نشاطات اخرى . تمويل الامم المتحدة.

هذه عناوين فصول هذا الكتيب التعريفي الذي الفه الاستاذ جلميران احد المتخصصين العراقيين بالشؤون الدولية والعضو المشارك في الوفد العراقي للامم المتحدة لعدة اعوام بدأت عام ١٩٦٤ مع مقدمة اضافية عن اهمية هذه المؤسسة العالمية.

صدر عن دار الشؤون الثقافية
بغداد . ٢٠٠٥